

مسامرات في اللغة والأدب // 3- تمام المتن وسرح العيون //

د.البشير عصام المراكشي

البشير عصام المراكشي

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى الله وصحبه والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين خير انليس عندنا اليوم شرح على رسالة ابن زيدون - 00:00:15 هو كتاب صرح العيون وابو الوليد ابن زيدون كاتب وشاعر اندلسي مشهور عرف بلقب ذي الوزارتين وله رسالتان نثريتان مشهورتان احداهما جدية والاخرى هزلية فرسالتة الجدية رسالة يبعثتها الى الوزير بالجهور يستعطي الى آآ ابن جهور وكان احد ملوك الطوائف - 00:00:36

فيها بعد ان حبسه. واولها يا مولاي وسيدي الذي ودادي له. واعتمادي عليه واعتدادي به الى اخر ما ذكر وهذه الرسالة الجدية شرحها خليل ابن ابيك الصفدي في كتاب سماه تمام المتن في شرح - 00:01:09 في رسالة ابن زيدون ثم لابن زيدون رسالة اخرى هزلية. وهذه جعلها على لسان ولادة بنت المستكفي. الى الوزير ابي عامر بن عبدوش يتهكم به فيها واولها اما بعد ايها المصاب بعقله المورط بجهله البيت - 00:01:34

سقطوا الفاحش غلطه الى اخر ما ذكر فيها وهي التي شرحها ابن نباتة المصري في كتابه هذا شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون حين نذكر ابن زيدون لا يمكننا ان نتفاصل قصيده المشهورة. التي اولها اضحى الثنائي - 00:01:59

بديلا من تدانيها وناب عن طيب لقيانا تجافينا. وهي قصيدة مشهورة وعجيبة جدا وذات جرس جميل وفيها الفاظ حسنة ومعان طيبة جدا. من ذلك قوله وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقا اليكم ولا جفت ماقينا تقاد - 00:02:29

حين تتجيكم ضمائركن يقضى علينا الاسى لولا تأسينا حالة لفقدكم ايامنا فغدت سودا وكانت بكم بيضا ليالينا هذه القصيدة صارت مشهورة جدا وصارت ايضا محظورة. فمن الخرافات التي اشتهرت عند المتأدبين انه ما حفظها احد - 00:02:59

الا مات غريبا. وقد عارضها جماعة من الشعراء فما استطاعوا ان يصلوا الى درجتها. كما اعتنى اخرون بشرحها واعتنى اخرون بتخميسيها كما فعل صفي الدين الحلي في تخميس مشهور له - 00:03:28

لهذه القصيدة لكن تبقى القصيدة الاصلية في الذروة التي لا يصل اليها من عارضها من طبعا عند قول ابن زيدون وقتيبة فتح ما وراء النهر بسعده لنا وقفه مع قتيبة هذا وقتيبة ابن مسلم الباهلي. وهو الذي فتح - 00:03:48

ما وراء النهر الى ان وصل الى تخوم الصين قتيبة هذا من قبيلة تسمى باهلة وهي قبيلة كان الناس يعدون الانتساب اليها عيبا ومعرة ولذلك فقتيبة هذا في يوم من الايام مازح اعرابيا فقال له ايسرك انك من باه - 00:04:22

وانك امير؟ قال لا. قال فيسرك ان تكون خليفة وان تكون من باهلة؟ قال لا قال ولو ان لي ما طلعت عليه الشمس قال فيسرك ان تكون باهليا وتكون من اهل الجنة - 00:04:52

فاطرق الاعرابي قليلا وتفكر في الامر ثم قال نعم بشرط الا يعلم اهل الجنة اني باهلة فضحك قتيبة لما نقل هذا كله؟ لذكر ان هذا الرجل الذي نسبه بهذا الشكل الذي ذكرنا لكم الان هذا الرجل وصل في فتوحه الى تخوم الصين - 00:05:14

بل وصل من قوته وجبروته ونشره للسلام في اصقاع عديدة. وكونه اسقط امبراطوريات ودولا جدا وصل من ذلك انه حين بلغ خبره الى ملك الصين قال هذا الملك ما الذي يريد هذا - 00:05:43

قال انه قد اقسم الا يرجع عن بلدك حتى يطأ بحوار فرسه تراب مملكتك وان يختتم على ابناء الملوك وان يأخذ كذا وكذا من المال.

فقال فما المخرج من هذا؟ لانه يشعر بانه لا - 00:06:08

قيل له الى مقاومة هذا الجيش الاسلامي العظيم تتفكر في الامر ثم وصل الى فكرة وهي انه بعث الى قنصلية ابن مسلم بصحبة وضع عليها شيئا من تراب مملكته اي من تراب الصين - 00:06:32

لكي يبرر قسمه فجيء بذلك وفعلا ابرر قسمه وارسل له بعض ابناء الملوك ليختتم على اعناقهم وارسل له جزية عظيمة جدا كله لما نذكره نذكره لكي نسترجع شيئا من ذكريات هذا المجد العظيم. الذي كان عند المسلمين. حين كان الرجل - 00:06:53

صغير السن فقد كان عمره ثمان عشرة سنة تقريبا يستطيع ان يصل الى بلاد بعيدة فيفتحها وينشر الاسلام فيها وهو صغير في السن ونسبه من احقر الانساب العربية ما كان ذلك كله الا بسبب - 00:07:21

الاسلام فعزه المسلمين في الاسلام وفي الاسلام وحده ذكر ابن زيدون في رسالته الاخري قوله ولا اخلو من ان اكون بريئا فاين عدلك او مسيئا فاين فضلك وهذه في رسالته الجدية التي شرحها في تمام المتون - 00:07:41

هذه الطريقة في التعبير تسمى عند البلغيين مذهب التقسيم والتقطسيم عرف بتعريفات مختلفة من اشهرها ان يذكر متعدد ثم يضاف الى كل واحد من افراده ما يناسبه ويلاقمه على جهة التعيين. كما ذكر هنا قال لا اخلو اما ان اكون بريئة - 00:08:15

او مسيئا ثم اضاف الى البريء ما يناسبه وهو قوله فاين آآ عدلك او مسيئا قال جعل له ما يناسبه وهو قوله فاين فضلك وهذا مشهور في كلام العرب. وورد منه في القرآن الكريم مثلا قول ربنا سبحانه وتعالى كذبت ثمود - 00:08:42

قارعة كذبت ثمود وعادوا بالقارع فاما ثمود فاهملوكوا بالطاغية. واما عاد فاهملوكوا بريح صرصر عاتية اذا ذكر ثمود وعاد اولا ثم اضيف لكل واحد من هذين ما يلائمهم. ومن ذلك البيتان المشهوران - 00:09:08

ولا يقيم على ضيم يراد به الا الاذلان غير الحي والوتد. هذا على الخسف مربوط برمته. اذا يشج فلا يرفي له احد. هذا ايضا يدخل في باب التقسيم. ويمكن ان يعرف التقسيم بتعريف اخر وهو ان يقسم المعنى - 00:09:33

باقسام آآ تستوفيه و تستكمله. كما في قول زهير مثلا فان الحق ثلاث يمين او نثار او جلاء فالحق عند القضاء يدور على هذه الامور الثلاثة ولا يخرج عنها. ولذلك قال عمر رضي - 00:09:58

الله عنه لو ادركته اي لو ادركت زهير بن ابي سلمى لوليته القضاء فانه عرف مقاطع الحق وذكرها في هذه الثلاثة اذا هذا هو مذهب التقطسيم عند البدعيين وله شواهد كثيرة في كلام العرب لا مطيل - 00:10:24

بتفصيلها والى لقاء مقبل باذن الله سبحانه وتعالى - 00:10:47